أين أنت يا مصطفى كامل ؟ !

رد عار ٤ فبراير بمثل ما رددت عار وشواى

للأستاذ سيد قطب

« إنا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة . فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » .

« لورد كيلرن ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ »

هذه المجلة ليست مجلة حزب من الأحزاب ، إنما هى مجلة المثقفين من المصريين خاصة ومن العرب عامة ؛ فهى بهذا ترتفع على الأحزاب ، وتتوجه بجهودها إلى معنى أخلد وأسمى

وهذا القلم ليس لحزب من الأحزاب ، فقد بات صاحبه لا يرى فى الأحزاب إلا أقزاماً بعد ما خلا الميدان من كل جبار ؛ فهو بهذا يتوجه إلى وجه مصر الخالد وهى أخلد وأسمى .

لقد أميط اللثام منذ أسبوعين عن أشنع مأساة لقيتها مصر فى تاريخها القديم والحديث ، المأساة التى داست كرامة كل فرد ، ومست شرف كل مواطن ، وأذلت كبرياء كل كريم ، ومرغت فى الوحل تاريخ المصريين ...

المأساة التى كشفت الستار عن الضمير البريطانى ، فإذا هو ضمير لا يصح الارتكان إليه ، ولا تجوز الثقة به ، ولا يؤمن التعاقد معه ، لأن الأقوياء يستطيعون فى لحظة واحدة أن ينقضوا كل ما أبرموا ، وذلك الضمير هادئ مستريح ! !

ولا أحب أن أسترسل فى التنديد بهذه المأساة ، فسرد حوادثها وحده يكفى ، وهو أشنع وأدهى من كل تعليق

وها هو ذا نقلا عن « أخبار اليوم » :

« فى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اعتدى الإنجليز على استقلال مصر أشنع اعتداء ، فأحاطت الدبابات الإنجليزية بقصر عابدين وصوبت إليه مدافعها ، وحوصر قصر الملك فاروق بألوف الجنود البريطانيين وهم فى ملابس الميدان ... وتقدمت دبابة انجليزية فحطمت الباب الملكى ودخلت حرم القصر ... ودخلت وراءها سيارة تحمل اللورد كيلرن السفير البريطانى ، والجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر

« حدث كل هذا فى الساعة التاسعة مساء فى الظلام الدامس لأن الجرائم عادة لا ترتكب إلا فى الظلام .

« ووقفت سيارة السفير البريطانى أمام الباب الملكى ونزل منها السفير وقائد القوات البريطانية يتقدمهما ثمانية ضباط يحملون المسدسات فى أيديهم

« وتقدم رجل الشريفات يسألهم : إلى أين هم ذاهبون ؟ ... فدفعه السفير البريطانى بيده وقال له :

« — أنا أعرف طريقى !

متمثلين بما قال الصاحب للقاضى الجرجانى صاحب (الوساطة بين المتنبى وخصومه) :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدع هذه الألفاظ تنظم شذورها

وأقول فى ختام هذا الحديث المختصر :

لو لم يكن — يا شيوخ ابن خلدون — أحمد الأول وأحمد الثانى اللذان « ليسا من الشعر فى شىء » كما لقنتم قولكم لخسر الأدب العربى أيما خسران . وإذا استغنى الإنكليز عن شكسبيرهم — وكارليل يقول « لا غنى لنا عن شكسبير[1] » — واستغنى الجرمان عن غوته ، وغوته[2] — كما رووا — نبيهم فى الأدب ، كلامه قرآنهم ، فالعربيون محتاجون كل الحاجة إلى أبى الطيب وإلى أبى العلاء . ولن يزهدهم فيهما مزهدون ، ولن يلقنهم عنهما لاقنون ، وكلما تقدم العربيون وعلوا ، وارتادوا علما « قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « وقل: رب زدنى علما » عرفوا من فضائل الأحمدين وسائر شعرائهم وأدبائهم وعلمائهم ما كانوا يجهلون ، وإنهم — وكتابهم القرآن وقائدهم محمد (صلى الإله على محمد) — لماشون فى هذا الوجود القدمية فلن يتقهقروا ، ولا يقفون .

(١) الأبطال تأليف الفيلسوف الأكبر توماس كارليل عربه الكاتب الكبير محمد السباعى .

= (٢) فى مقالى (شاعر الجرمان الأعظم) فى : (الرسالة الغراء) ٤٣١ بينت مكانته وأوردت شيئا من أخباره . وقد روى الراوون أنه ترزم وهو ابن ست سنين « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » واسم الرجل فى الفرنجى جون أو جان أى يحيى

« وفى هذا الوقت هجم الجنود البريطانيون على حراس قصر عابدين فجردوهم من السلاح ، وحاصروا القشلاق الملكى ، وأراد أحد الحراس أن يقاوم القوة بالقوة ، فتكاثر حوله الجنود الإنجليز وأصيب بكسر فى يده أثناء المقاومة

« وفى هذا الوقت نفسه كان الجنود الإنجليز قد حاصروا جميع ثكنات الجيش المصرى ، وصوبوا إليها المدافع ، واستعدت الطائرات البريطانية لنسف جميع ثكنات الجيش المصرى إذا هو قاوم !

« وحاصر الجنود الإنجليز كذلك مراكز البوليس ... وقطعوا جميع الأسلاك التليفونية الموصلة إلى القصر الملكى ! ! وحاصروا أيضاً محطة الإذاعة !

« كل هذا لكى لا يعرف الشعب ماذا يجرى فى قصر ملكه ! »

هذا هو الوصف المادى المحسوس المأساة . يفور له الدم فى العروق ، وتهتاج له الأعصاب فى الأجسام ، ويبيض له كل قلب بالنقمة والغضب والحماس ...

فكيف تلقته الصحافة الحزبية فى مصر الممثلة للأحزاب المصرية فى عصر الأقزام ؟ راحت الصحف الوزارية تتهم النحاس باشا بالخيانة الوطنية ، دون أن تمس السادة الإنجليز إلا فى حذر ومن وراء ستار !

وراحت الصحف النحاسية تتهم الوزاريين بالتلفيق والتزوير ، وتتنحل للسادة الإنجليز كل عذر فى موقفهم هذا التشوم . فهم قوم فى حرب حياة أو موت ، وهم يريدون الاطمئنان إلى أنهم لن يطعنوا فى ظهورهم ، وهم قوم محرجون ، معذورون فيما صنعوا ، مبرأون فيما يصنعون !

وا سوأتاه !

أين أنت يا مصطفى كامل ؟ !

أين أنت لتعلم هؤلاء وهؤلاء كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ؛ كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟ !

* * *

لقد يكون مفهوماً بعض الشىء أن تقف الصحف النحاسية هذا الموقف من الحلفاء الذين أرسلوا للملك بهذا الإنذار ... أما غير المفهوم ، فهو موقف الصحافة الوزارية على العموم !

إنهم يحرصون فيما يقال على صفاء الجو بيننا وبين السادة الانجليز ونحن على أبواب المفاوضات أو المحادثات !

أية مفاوضات وأية محادثات ، مادام هؤلاء السادة يملكون فى كل يوم وفى كل وقت أن يرسل « سفيرهم » — لا ممتمدهم ولا مندوبهم السامى — بإنذار إلى « الملك » يقول فيه : « إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن هيّان ابن بيّان قد دعى لتأليف وزارة فإن الملك يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » ثم يحضر بعد ساعات بدباباته فيحطم باب الملك كما حطمه فى يوم ٤ فبراير لتنفيذ هذا الانذار . ثم يجد من « هيّان ابن بيّان » كل قبول ؟ !

وبعد هذا كله ، وبعد أن تنشر أخبار المأساة يبقى السفير البريطانى سفيراً فى بلاط هذا الملك الذى حطم باب قصره بالدبابات ؟ !

إن المعتمد الانجليزى لم يبق بعد حادثة دنشواى فى مصر ، وهى أهون ألف مرة من حادث ٤ فبراير . وهذا هو الفرق الحاسم بين الأمس واليوم . والمعتمد الانجليزى إذ ذاك هو لورد كرومر أحد بناة الامبراطورية كما يصفه تاريخ الاستعمار التشوم .

وا سوأتاه

أين أنت يا مصطفى كامل ؟

أين أنت لتعلّم زعماء اليوم كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ، كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟

لقد كان مصطفى كامل طليق اليد واللسان لأن أبهة الحكم لم تكن تداعب خياله ، ولأن أبهة الحكم لم تكن تلجم بيانه . ولأنه لم يكن يؤمن بضمير أحد ولا يثق إلا بضمير الخالدة على الأزمان .

أما اليوم فنحن نثق بالضمير البريطانى فنشاهده ، ونؤمن بالشرف البريطانى فنركن إليه !

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ...

إن مأساة ٤ فبراير هى مأساة الضمير البريطانى . ومأساة الثقة العمياء بهذا الضمير .

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ... إن مأساة ٤ فبراير يجب أن تنقش بحروف من نار لتبقى فى قلوب الأبناء والأحفاد تذكرهم بمأساة الضمير البريطانى ، ومأساة الثقة العمياء فى هذا الضمير .

وهذا ما يجب أن تكتبه الصحف عامة ولو أغضبت جميع الأحزاب فى عصر الأقزام !!!

سيد قطب